بَاب مَا جَاءَ فِي دُلُوكِ الشَّمْسِ وَغَسَقِ اللَّيْلِ

قال الإمام ـ رحمه الله ـ (باب ما جاء في دلوك الشّمس).

دلوك الشّمس، هذا مصدر (دلكت الشّمس) إذا زالت، ومالت.

وهذا هو تفسير ابن عبّاس وأبي هريرة وابن عمر.

كلّهم يقولون: دلوك الشّمس زوالها وميلها.

وقال عليٌّ وابن مسعود ـ رضي الله عن الجميع ـ: دلوك الشّمس غروبها.

واللّغة مُسعِفة للوجهين كليهما، فإنّ الدّلوك يَرِد بمعنى الغروب ويَرِد بمعنى الزّوال.

والوجهان مقولان في تفسير قول الله تعالى: {أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ}[1].

قد قالت طائفة: {أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ} أي لزوالها، وقالت طائفة: لغروبها.

والأولى أن يُجعل الدّلوك هنا الزّوال لتنتظم الآية أوقات الصّلاة الخمسة {أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ} على القول بأنّ الدّلوك الزّوال.

{أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ} ينتظم الظّهر والعصر.

{إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ} ينتظم المغرب والعشاء.

{وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ} صلاة الصّبح.

لكن إذا قيل: الدّلوك: الغروب، بقي لنا الظّهر والعصر.

1 ـ الإسراء: 78

* الحديث 18 *

قال عُبَيْدُ الله بنُ يحيى ـ رحمه الله ـ: حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ كَانَ يَقُولُ: دُلُوكُ الشَّمْسِ مَيْلُهَا[2].

قال عبيد الله ـ رحمه الله ـ: حدّثني يحيى عن مالك عن نافع أنّ عبد الله بن عمر كان يقول: **دلوك الشّمس ميلها**[3].

وقد قلت في المجلس الماضي: إنّ الدّلوك ـ هذا ـ يُطلق على زوال الشّمس ويطلق على غروبها.

والعربية مُسعِفة في المعنيين.

وقد قال بكِلا القولين، بكلّ واحد من القولين طائفة من الصحابة.

فمثلا: قال عبد الله بن عبّاس وأبو هريرة وابن عمر: دلوك الشّمس ميلها[4].

وقال ابن مسعود وعليٌّ: دلوك الشّمس غروبها.

والقولان مذكوران، والتّفسيران مذكوران في قول الله تعالى: {**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**}.

2 ـ الـميْل ـ بتسكين الياء ـ فيما ليس بخلقة ثابتة، يقال: مالت الشمس ميْلا. وقال الله تعالى {فلا تـميلوا كل الـميْل فتذروها كالـمعلّقة} [النساء: 129] وأمّا الخلق والأجسام فبفتح الياء، يقال: في أنفه ميَل، وفي الحائط ميَل. المنتقى شرح الموطأ (1/ 21)، وانظر: مقاييس اللغة (5/ 233)

3 ـ قال الباجي: قول عبد الله بن عمر حجة في اللغة، لأنه من أهل اللسان، مع ما يضاف إلى ذلك من العلم بالشريعة وصحبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والدين والورع. وإذا كان يُحتجُّ بقول امرئ القيس والنابغة في اللغة فبأن يُحتج بقوله أَوْلى. المنتقى 1/ 21.

4 ـ روى عبد الرزاق عن سالم عن ابن عمر قال: (دلوك الشمس زياغها بعد نصف النهار وذلك وقت الظهر) مصنف عبد الرزاق 1/ 543.

وقيل: (لدلوك الشّمس) لغروبها، وقيل: (لدلوك الشّمس) لزوالها.

وقول ربّنا سبحانه: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ} هذه اللّام هنا محتمِلة أن تكون بمغنى: (بَعْدَ) وأن تكون بمعنى: (عِنْدَ).

{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ} أي: عند دلوكها، أو بعد دلوكها.

واللّام في لغة العرب تجيء لمعان كثيرة، جمعها الدَّيْمانيُّ -رحمه الله- بقوله:

اللّامُ ذاتُ النّصب للتّعليل إنْ
لم يكُ نفيُ كانَ قبلَها يَعِنْ
وجزمها يكون للأمر وفي
جرٍّ لمِلْك مع تمليكٍ تَفِي
وشِبْهِ ذيْنِ حَيْثُ لا مِلْكَ يَصِحْ
كذا بِها مآلُ الأمْرِ قد يَضِحْ
وعلّلت وأكّدت وكـ: إلى
تأتي وَفِي مِنْ عِندَ بَعْدَ عَنْ على

هذه هي معاني اللّام في لغة العرب.

(اللّامُ ذاتُ النّصب) يعني أنّ.

اللّام ثلاثة أنواع: لامٌ تنصِب، ولامٌ تجزِم، ولام تجُرّ.

والجارّة هذه من خصائص الأسماء، لأنّ الخفض يختصّ بالأسماء، فإنّه لا خفض في الأفعال.

قال -رحمه الله-:

اللّامُ ذاتُ النّصب للتّعليل إنْ
لم يكُ نفيُ كانَ قبلَها يَعِنْ

تأتي اللّام للتّعليل.

اللّام النّاصبة تأتي للتّعليل، كما في قول الله تعالى: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}[1].

{لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ} هذه للتّعليل، أي لأجل أنْ، أو لعلّة أنْ تُبيِّن للنّاس ما نُزِّل إليهم.

....

لم يكُ نفيُ كانَ قبلَها يَعِنْ

إذا لم يجئ قبلها كون منفيّ، كان منفية.

اللّامُ ذاتُ النّصب للتّعليل إنْ
لم يكُ نفيُ كانَ قبلَها يَعِنْ

يجيء: يبيّن.

فإذا جاء قبلها كون منفيّ كانت للجحود، تُسمّى (لامَ الجحود).

وذلك كما في قول ربّنا سبحانه: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ}[2].

{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ} هذه لامٌ سبقها كونٌ منفي، فتُسمّى (لامَ الجحود).

قال:

اللّامُ ذاتُ النّصب للتّعليل إنْ
لم يكُ نفيُ كانَ قبلَها يَعِنْ

1 - النحل: 44
2 - الأنفال: 33

وجزمهـــــا يكـــــون للأمـــــر ....

....

تكون اللّام جازمة، تدخل على الـمضارع فتجزِمه وتفيد معنى الأمر.

وجزمهـــــا يكـــــون للأمـــــر ....

....

وهذه اللّام الجازمة قد تكون مكسورة، وقد تكون ساكنة.

كما في قول ربّنا سبحانه: {لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ}[1]، هذه لام دخلت على فعل مضارع جزمته فصيّرت معناه معنى الأمر، وهذه لام مكسورة.

وقد تكون ساكنة كما في قول الله تعالى: {ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ}[2].

{لۡيَقۡضُواْ} هذه لام دخلت على فعل مضارع جزمته فصيّرت معناه إلى الأمر.

وجزمهـــــا يكـــــون للأمـــــر وفي

جـــــرٍّ لـــــمِلْك مـــــع تمليـــــكٍ تَفِـــــي

الآن دخلنا في اللّام الجارّة.

قال: تأتي للمِلك، كما في قول ربّنا سبحانه: {لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ}[3].

هذه لام تفيد معنى الـمِلك.

وتأتي اللّام أيضا تفيد معنى التّمليك، كما في قول القائل ـ مثلا ـ: وهبتُ لابني كذا.

هذه اللّام: وهبت لابني، هذه تُسمّى (لامَ التّمليك).

قال:

وشِـــــبْهِ ذَيْـــــنِ ....

....

شِبْه الـمِلك والتّمليك.

تأتي اللّام لشِبْه الـمِلك والتّمليك.

قال:

وشِـــــبْهِ ذَيْـــــنِ ....

....

أي وشبه الـمِلك والتّمليك.

.... حَيْـــــثُ لا مِلْـــــكَ يَصِـــــحّْ

....

إذا لم يصِحَّ الـمِلك ولا التّمليك فيأتي شِبْهُهما.

ما شِبه الـمِلك والتّمليك؟

شيئان: الاختصاص، والاستحقاق.

وهذا معنى قوله:

وشِـــــبْهِ ذَيْـــــنِ حَيْـــــثُ لا مِلْـــــكَ يَصِـــــحّْ

....

1 ـ الطلاق: 7

2 ـ الحج: 29. قرأ أبو عمرو ويعقوب (ثم لِيقْطَعْ) (ثم لِيَقْضوا) بكسر اللام فيهما. وقرأ ابن عامر (ثم لِيقْطع) (ثم لِيَقْضُوا) . . . ولِيُوفُوا. . . ولِيَطوّفوا) بكسر اللام في الأربعة أحرف. وروى ورشٌ وأبو بكر بن أبي أويس عن نافع مثل أبي عمرو. وقال قُنبل عن ابن كثير (ثم لِيَقْضُوا) بكسر اللام في هذه وحدها. معاني القراءات للأزهري (2/ 176)

3 ـ المائدة: 120، الشورى: 49

تكون اللّام بمعنى الاستحقاق إذا وقعت بين ذات ومعنى، كما في قول ربّنا سبحانه: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ}[1].

{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ} هذه اللّام وقعت بين ذات ومعنى.

المعنى: الحمد، والله تعالى ذات ـ سبحانه ـ.

هذه اللّام الواقعة بين ذات ومعنى يقال فيها (لامُ الاستحقاق)، أي: الحمد مُستَحَقٌّ للربّ سبحانه.

وتأتي للاختصاص.

هذه الآتية للاختصاص تكون بين ذاتين، إحداهما تملك والأخرى لا تملك، أو إحداهما لا تملك والأخرى تُملَك.

مثلا: قول القائل: اللِّجام للفرس، هذه لام وقعت بين ذاتين، لكن إحداهما لا تملك، وهو الفرس، لأنّ الفرس لا يملك، والأخرى تُملَك، وهي اللِّجام.

فهذه اللّام تُسمّى (لامَ الاختصاص).

يعني أنّ ذلك اللّجام مُختصّ بالفرس.

أو تكون اللّام أيضا للاختصاص إذا وقعت بين ذاتين إحداهما تملك والأخرى لا تُملَك، كما في قول ربّنا سبحانه: {قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا}[2].

{إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا} هذه اللّام وقعت بين ذاتين، الضّمير يعود على يوسف، والأب، أب يوسف، الّذي هو يعقوب.

هذه وقعت بين ذاتين، إحداهما تملك، وهي يوسف، والأخرى لا تُملَك، وهو يعقوب، يعقوب لا يُملَك.

فهذه اللّام تُسمّى (لامَ الاختصاص).

ولهذا اختلف العلماء في قول رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «**أنت ومالُك لأبيك**».

فذهب الحنابلة إلى أنّ مال الابن مِلك للأب. قالوا: هذه اللّام للمِلك، أو هذه اللّام للتّمليك.

مال الابن مِلك للأب هِبةً من رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ له.

رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ هو الّذي ملّك مال الابن لأبيه.

والمالكية والجمهور قالوا: لا.

هذه اللّام ليست للتّمليك.

لماذا؟

قالوا: لأنّ الرّسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: «**أنت ومالُك لأبيك**»، ولم يقل: مالُك لأبيك.

بل عطف المال على ضمير (أنت) الّذي هو الابن، وأنت لا تُملَك، فكذلك ما عُطِف على ما لا يُملَك فهو لا يُملَك.

قال:

وشِبْهِ ذَيْنِ حَيْثُ لا مِلْكَ يَصِحّْ
كَذا بِها مآلُ الأَمْرِ قَدْ يَضِحْ

(مآل الأمر).

تكون اللّام مبيِّنة لمآل الأمر.

تُسمّى هذه اللّام (لامَ العاقبة)، أو تُسمّى (لامَ الصّيرورة)، (لامَ المآل).

هذا كما في قول ربّنا سبحانه: {فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}[3].

---

1 ـ الفاتحة: 2

2 ـ يوسف: 78

3 ـ القصص: 8

أهو التقطه لعلّة أن يكون لهم عدوًّا؟

إنّما التقطه ليُربّوه ولينشئوه، لكن عاقبة أمره معهم، عاقبة أمر موسى مع فرعون أنْ سيكون لهم عدوّا.

وهذا كما قال لسان الدّين ابن الخطيب:

بني الدّنيــا بني لَـمْــــــــعِ السّراب
لِــدُوا للمــوتِ وابنــوا للخــراب

يا بني الدّنيا، يا بني لـمع السّراب، لِدُوا للموت.

هل يلِدُ الـمرء للموت أم يلِد لِيَلا ينقطع عمله؟

لكن عاقبة، مآل ما سيلد الـموت.

ومآل ما سيبني الخراب.

....

لِــدُوا للمــوتِ وابنــوا للخــراب

يقول أبو العتاهية:

لِــدُوا للمــوتِ وابنُــوا لِلخَــرابِ
فكُلّكُــمُ يَصِــيرُ إلى ذَهَــابِ

لِــمنْ نبنِــي ونحــنُ إلى تــرابِ
نصِــيرُ كــمَا خُلِقْنَــا مِــنْ تــرابِ

ألا يــا مَــوْتُ! لم أرَ منــكَ بُــدّاً
أبيــتَ فــلا تحِيــفُ ولا تُحَــابِي

كأنّــكَ قــد هَجَمــتَ عــلى مَشــيبي
كَــما هَجَــمَ المَشــيبُ عــلى شَــبابي

وَيــا دُنيــايَ! مــا لِيَ لا أراني
أسُــومُكِ منــزِلاً ألا نبــا بِي

ألا وأراكَ تَبــذُلُ، يــا زَمــاني
لِيَ الــدُّنيا وتسرِــعُ باســتلابي

وإنّــكِ يــا زمــانُ لــذُو صروفُ
وإنّــكَ يــا زمــانُ لــذُو انقــلابِ

ومــا لي لســتُ أحلِــبُ منــكَ شَــطراً
فأحْمَــدَ غِــبَّ عاقِبَــةَ الحِــلابِ

ومــا لِيَ لا أُلِــحّ عَلَيــكَ، إلاّ
بَعَثْــتَ الهَــمّ لي مِــنْ كــلّ بــابِ

أراكَ وإنْ طَلَبْــتُ بكــلِّ وجْــهٍ
كحُلْــمِ النّــوْمِ، أوْ ظِــلِّ السّــحابِ

أو الأمــسِ الــذي ولّى ذهَابــاً
فَلــيسَ يَعــودُ، أوْ لمــعِ السّرــابِ

وهــذا الخَلــقُ منــكِ عــلى وِفــاذٍ
وأرجلُهُــمْ جميعــاً في الرِّكــابِ

تقلّــدتُ العِظــامُ مــنَ الخطَايــا
كــأنّي قــد أمِنْــتُ مِــنَ العِقــاب

سأُســألُ عــنْ أمــورٍ كُنْــتُ فِيهَــا
فَــما عــذرِي هُنَــاكَ وَمَــا جــوَابِي

بأيّــةِ حُجّــةٍ أحْــتَجُ يَــوْمَ الــــ
ـــحِساب، إذا دُعيــتُ إلى حســابِ

هُمــا أمْــرانِ يُوضِــحُ عَــنْهُما لي
كتــابي، حِــينَ أنْظُــرُ في كتــابي

فَإمّــا أنْ أخَلّــدَ في نعِــيْم
وإمّــا أنْ أُخَلّــدَ في عــذابِ

نسأل الله أن نكون من أصحاب النعيم.

هذه قلنا لام؟

العاقبة.

قال ـ رحمه الله ـ:

كـــذا بِهـــا مـــآلُ الأمْـــرِ قـــد يَضِـــحْ

وعلّلـــــت ....

ولا يلتبِسنّ عليكم هذه اللّام باللّام الأولى الّتي ذكرناها للتّعليل، لأنّ تلك داخلة على الأفعال فتنصِب، وهذه داخلة على الأسماء فتجُرّ.

ومن ذلك قولُ امرئ القيس:

فجِئْـــتُ وقـــد نَضَّـــتْ لنَـــوْمٍ ثيابَهـــا

لـــدى السِّـــترِ إلاّ لِبْسَـــةَ المُتَفَضِّـــلِ

نضّت، يعني خلعت ثيابها للنّوم، أي لأجل النّوع، لعلّة النّوم.

هذا البيت من معلّقته المشهورة فلا نطيل بذكرها.

....

وعلّلـــت وأكّـــدت ....

هذه تأتي تقوية، تأكيدا للعامل الّذي يضعف.

الآن، قول ربّنا سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ}[1].

قال: {إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ}.

أصل الكلام.

هذه (للرّؤيا) هو في الأصل مفعول (تَعبُرون).

يعني أصل الكلام: إن كنتم تعبرون الرّؤيا.

فلمّا تقدّم المعمول على عامله ضَعُف في العمل فجيء بتلك اللّام لتقويته، فقيل: {لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ}.

....

وعلّلـــــت وأكّـــــدت وكـــــ: إلى

تأتي بمعنى (إلى)، كما في قول ربّنا سبحانه: {وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ}[2]. أي إلى بلد ميت.

....

وكـــ: إلى ....

تـــأتي وَفِـــي ....

....

تأتي ـ أيضا ـ بمعنى (في)، كما في قول ربّنا سبحانه: {وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ}[3]، أي: في يوم القيامة.

تأتي أيضا بمعنى (مِن)، وهذا كما في قول رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في الصّحيح: **«لَأُلْفِيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء»**.

(بعير له رُغاء) أي: منه رُغاء.

«يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتُك، لَأُلْفِيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتُك، لَأُلْفِيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رأسه

1 ـ يوسف: 43

2 ـ الأعراف: 57

3 ـ الأنبياء: 47

شاة لها ثُغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتُك». إلى آخر الحديث.

ماذا يقول؟

وعلّلـــــــت وأكّـــــــدت وكـــــــ: إلى

تـــأتي وَفِـــي مِـــنْ عِنـــدَ ....

تجيء - أيضا - اللّام بمعنى (عند)، وهذا كما في قول القائل - مثلا -: وُلِد لي غلام لعَشْر خلت من رمضان.

لِعَشْر خلت، أي: عند عَشْر خلت من رمضان.

....

.... وَفِـــي مِـــنْ عِنـــدَ بَعْـــدَ ....

تجيء اللّام بمعنى (بَعْدَ)، وذلك كما في قول ربّنا سبحانه: **﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** أي: بعدها.

ومنه قول رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»**، أي: صوموا بعد رؤيته وأفطروا بعد رؤيته.

ومن ذلك - أيضا - قول متمّم بنِ نُوَيْرة يَرثي أخاه:

فلـــــمّا تفرّقْنـــا كأنّـــي ومالكـــاً
لِطـــولِ اجـــتماعٍ لم نَبِـــتْ ليلـــةً معـــا

(لطول اجتماع) أي: بعد طول اجتماع لم نبت ليلة معا.

هذا البيت من قصيدة يَرثي فيها مُتَمِّم بنُ نُوَيْرة أخاه مالك بن نُوَيرة بعد قتله.

مالك بن نُوَيرة هذا كان من فرسان بني يربوع، ومن شجعانهم، ومن أبطالهم، وكان من أشرافهم مشهورا في الجاهلية، وأسلم.

كان يقال له: (فارس ذي الخِمار)، مشهور هو بهذا الاسم، لأنّ (ذا الخِمار) هذا فرسه.

فأسلم، وولّاه رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - الصّدقات على قومه، أي صدقات بني يربوع.

فلمّا قُبِض رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - امتنع مالك بن نُوَيرة من أن يؤدّيَ الزّكاة، فبعث إليه أبو بكر - رضي الله عنه - خالدَ بنَ الوليد، فأدركه في موضع يقال له (البِطاح).

فبدأ يكلّمه، فكلّما ذُكِر رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قال مالك بن نُويرة: ما إخال صاحبكم إلّا قال كذا وكذا.

فلمّا أكثر عليه.

لا يقول: رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -، يقول: صاحبكم.

فقال خالد بن الوليد: أليس هو لك بصاحب؟

ثمّ أمر ضرار بن الأزور فقتله، ضرب عنقه.

استدلّ بذلك على ردّته.

فقام متمِّم بن نويرة فملأ الدّنيا عويلا على أخيه مالك، وجاء المدينة، واستعدى أبا بكر، وطلب منه أن يدِيَ أخاه، وأن يَرُدّ عليه سبيهم، ففعل ذلك أبو بكر - رضي الله عنه -.

وكان عمر يراود أبا بكر على عزل خالد، ويقول: إنّ في سيفه رَهَقا، قتل رجلا مسلما.

وهو بعد قتله تزوّج امرأته، فهذه أيضا موضع.

مِثْلُ هذه الـمواضع تكون فيها دقيقة وتحتاج إلى إمعان للنّظر، حتّى لا يُنسَب إلى جناب الصّحابة ما لا يليق بهم.

هذه تكون مراتع للمستشرقين ولأذنابهم يتناولون فيها مقام الصّحابة بما لا يليق.

فقالوا: قتل مالك بن نويرة ليتزوّج امرأته.

نحن نتكلّم عن ناس تركوا المال، وتركوا الأزواج، وتركوا الدّيار، لأجل الإسلام.

من بعد يقتل رجلا ليتزوّج امرأته؟!

ولكن ما ذا أقول؟

كلّ إناء بما فيه يَرْشَحُ.

فقال أبو بكر - رضي الله عنه - لعمر: تأوّل فأخطأ، ولا أَشِيمُ سيفا سلّه رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - على المشركين.

وقصائد مُتَمّم بن نُوَيرة قصائد عظيمة، مؤثّرة، لأنّه يرثي أخاه عن حُزْن عن كبدٍ مرضوضة رضّها الحُزْن.

يقول - مثلا - في القصيدة الّتي منها هذا الشّاهد:

لَعَمْري وما دهري بتأبين هالِكٍ
ولا جَزِعٍ مِمّا أصابَ فأَوْجَعا
لَقَدْ كفّن المِنْهالُ تَحْتَ رِدائِهِ
فتًى غَيْرَ مِبْطانِ العَشِيّاتِ أَرْوَعَا
ولا بَرِماً تُهْدِي النِّساءُ لِعَرْسِهِ
إذا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتاءِ تَقَعْقَعَا
لَبِيبٌ أعانَ اللُّبَّ مِنْه سَماحَةٌ
خَصِيبٌ إذا ما راكِبُ الجَدْبِ أَوْضَعا
تَراهُ كَنَصْلِ السَّيفِ، يَهْتَزُّ للنَّدَى
إذا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعا

إلى أن يقول:

وإنّي متى ما أَدْعُ باسْمِكَ لم تُجِبْ
وكُنْتَ جَدِيراً أَنْ تُجِيبَ وتُسْمِعَا
وكَانَ جَنَاحِي إِنْ نَهَضْتُ أَقَلّنِي
ويَحْوِي الجَناحُ الرّيشَ أنْ يَتَنَزَّعَا
وعِشْنا بخيْرٍ في الحياةِ وقَبْلَنا
أصابَ المنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعا
وكنّا كندمانَي جَذيمةَ حِقبةً
من الدّهر حتّى قيلَ لن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكاً
لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً مَعَا
فَإِنْ تَكُنِ الأَيّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا
فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي حين وَدّعا

ويقول في مقطوعة أخرى:

لَقَدْ لامَنِي عند القُبُورِ على البُكا
رَفِيقِي لِتَذْرافِ الدُّمُوعِ السَّوافِكِ

كلّما رأى قبرا بكى.

يكون ماشيا، إذا صادف قبرا بكى، فلامه صاحبه، تبكي كلّما رأيت قبرا؟

فقال هو:

لَقَدْ لامَنِي عند القُبُورِ على البُكا
رَفِيقِي لِتَذْرافِ الدُّمُوعِ السَّوافِكِ
فقالَ: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ
لِقَبْرٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى والدَّكادِكِ
فقلْتُ: إنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى
فدعني فهذا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ

....

.... وَفِــــي مِــــنْ عِنــــدَ بَعْــــدَ عَــــنْ .....

تجيء اللّام أيضا بمعنى (عن)، وهذا كما في قول ربّنا سبحانه: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ}[1].

وقال الّذين كفروا عن الّذين آمنوا: لو كان خيرا ما سبقونا إليه.

لأنّه لو خاطبوهم لقالوا: ما سبقتمونا إليه.

وهذا كما في قول أبي الأسود الدُّؤَلي:

حَسَــدُوا الْفَتَــى إِذْ لَمْ يَنَــالُوا سَــعْيَهُ
فَالنَّــاسُ أَعــدَاءٌ لَــهُ وَخُصُــومُ
كَضَرَائِرِ الحَسْــنَاءِ قُلْــنَ لِوَجْهِهَــا
حَسَــداً وَبُغْضــاً: إِنَّــهُ لَــدَمِيمُ

قلن عن وجهها حسدا وبُغضا: إنّه لدميم.

وتأتي اللّام ـ وهو آخر معانيها ـ بمعنى؟

(على).

وذلك كما في قول ربّنا سبحانه: {إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً}[2]، أي: على الأذقان.

ومن ذلك ـ أيضا ـ قول ربّنا سبحانه: {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}[3]، أي: فعليها.

---

1 ـ الأحقاف: 11

2 ـ الإسراء: 107

3 ـ الإسراء: 7